أَهٰذَا جَزَاءُ الصِّدْقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقاً
أَهٰذَا جَزَاءُ الْكِذْبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبَا(١)
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْمَحْوِ مَنْ جَاءَ تَائِبا(٢)

لا تَشِنه بالنضار

وقال وقد عرض على الأمير سيوف فيه واحد غير مذهب فأمر بإذهابه: [المنسرح]

أَحْسَنُ مَا يُخْضَبُ الْحَدِيدُ بِهِ
وَخَاضِبَيْهِ النَّجِيعُ وَالْغَضَبُ(٣)
فَلَا تَشِينَنْهُ بِالنُّضَارِ فَمَا
يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ(٤)

أنت لعلة الدنيا طبيب

قال فيه يعوده من دمل كان به: [الوافر]

أَيَدْرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ
وَهَلْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَكِ الْخُطُوبُ(٥)

---

(١) و (٢) عتاب الأصدقاء والأحباب يمحو الجفوة بينهم ويعيدهم إلى صافي الودّ والعهد. يسأل الشاعر عن الجزاء الحسن؛ فالصدق جزاؤه نعم الجزاء، عطاءً وتكرمة. وفي حال كذبه فليس هذا الموقف جزاء الكاذبين، والعفو من شيم الكرام وجميل عفو سيف الدولة يعني تقرّباً ومغفرة. ويكفي المرء التوبة والاعتذار عمّا يمكن أن يكون بدر من الشاعر عن غير قصد.

(٣) يخضب: يصبغ بالحنّاء. النجيع: الدم. يرى الشاعر أن السيف أجمل ما فيه أن يصبغ بدماء الأعداء القانية التي يفجّرها الغضب لكرامة صاحبه وشفاءً لغضبه.

(٤) شان: عاب. النضار: الذهب. يطلب الشاعر من سيف الدولة أن يبقي السيف على حاله فالذهب يُفقده حاسّة القتل ويجعله للزينة، وهنا لا قيمة له، لأنه فقد أسباب وجوده، لذلك فمن غير الممكن أن يجتمع الماء سرّ الحياة والذهب لدى من كان يقتله العطش.

(٥) ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٣٢١، الوساطة بين المتنبي وخصومه: =

وَجِسْمُكَ فَوْقَ هِمَّةِ كلِّ دَاءٍ
فَقُرْبُ أَقَلِّهَا مِنْهُ عَجِيبُ (١)
يُجَشِّمُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا
وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ المِقَةِ ٱلْحَبِيبُ (٢)
وَكَيْفَ تُعِلُّكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ
وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَبِيبُ (٣)
وَكَيْفَ تَنُوبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءٍ
وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ لِمَا يَنُوبُ (٤)
مَلِلْتُ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ
طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَمٌ صَبِيبُ (٥)

= ١١٢. أرابه: حمله على الشكّ بنيّته وعمله. الخطوب: المصائب والويلات. يخاطب الشاعر سيف الدولة مستفهماً مستعظماً متعجباً من انزعاج ممدوحه ممّا ألمّ به؛ إنه الفلك في عليائه فلا يُغيره إذا ألمّ به ما يُزعجه، فهو حدث عابر لا يُؤثر بهمّة العظيم.

(١) يتابع الشاعر منوّهاً بمناعة جسم ممدوحه، فالأدواء لا تؤثر بعزيمته والغريب أن أقلّ الأمراض أثراً فاجأ سيفاً لا تقوى عليه السيوف فكيف بدمّل لا شأن له؟

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٢. يجشمك: يلاعبك ويغازلك. المقة: المحبة. إن ما حلّ بك إنما هو حبّ الزمان لك ومغازلة الحبيب لحبيبه، وقد يؤذي الحبّ من ودّه لشدّة حبّه له ولاختباره.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٢. ومن أغرب الأمور أن الأطباء الذين يُسهمون بشفاء النفوس في هذا الوجود يتعرّضون للأدواء؛ فتلك أمثولة الحياة.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٣. تنوبك: تنزل بك. المستغاث: المستعان. ومن أغرب الأمور أيضاً أن يحلّ بك المرض وألمه وأنت من يُستعان به في الملمات وصعاب الأمور.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٣. ومن طبع النفوس الملل والتأفّف من حالات الخنوع والاستكانة إلى الدعة، فحياة سيف الدولة القيام بعظائم الأمور والمصاولة والمجاولة في ميادين القتال، حيث تُهدر دماء الأعداء ثمناً للمجد.

وَأَنْتَ الْمَلْكُ تُمْرِضُهُ ٱلْحَشَايَا
لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ ٱلْحُرُوبُ (١)
وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا
وَعَثِيرُهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبُ (٢)
مُجَلِّحَةً لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي
وَلِلسُّمْرِ الْمَنَاحِرُ وَالْجُنُوبُ (٣)
فَقَرِّطْهَا الْأَعِنَّةَ رَاجِعَاتٍ
فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبَتْ قَرِيبُ (٤)
إِذَا دَاءٌ هَفَا بُقْرَاطُ عَنْهُ
فَلَمْ يُعْرَفْ لِصَاحِبِهِ ضَرِيبُ (٥)

---

(١) الحشايا: الفراش الوثير. يخاطب الشاعر ممدوحه بحقيقة حاله إنه ملك يعاف الاستكانة وتمرضه الدعة، فمن عادته مقارعة الأبطال في ميادين القتال لبعد همته، فشفاؤه في مزاولة ما اعتاد عليه.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٣. العثير: الغبار. الجنيب: الفرس التي تقودها إلى جنبك. إن مرض سيف الدولة عشقه لفرس يقودها في وسط المعمعة تثير الغبار، وهذا ما يزعجه فشوقه شوق الحبيب لرؤية من يُحبّ.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٣. مجلحة: مصمّمة على الإقدام. السمر: الرماح. المناحر، الواحد منحر: حيث تذبح الذبائح. الجُنوب: الواحد جنب. ومن طبع تلك الخيول أنها قد اعتادت أن تطأ أرض الأعداء بقوّة وعناد وتصميم، وقد سمحت للرماح أن تنفذ فيها وفي جنوبها.

(٤) قرط عنان الفرس: أرخاه. الأعنة، الواحد عنان: اللجام، الرسن. يطلب الشاعر من ممدوحه إرسال جياده لتجوس ديار الأعداء فهي بعيدة في الحقيقة قريبة على من اعتاد على وطئها.

(٥) هفا: زلّ. بُقراط: أعظم أطباء اليونان في عصرهم الذهبي. الضريب: المثيل، الشبيه. إنه مرض غريب لم يعرف سببه ودواءه أشهر أطباء اليونان، بُقراط، فرغم مزاولته لعلوم الطبّ لم يعرف أن من اعتاد على الحروب يمرض إذا لزم حياة الدّعة وترك ما اعتاد عليه، لكان ذكر الدواء الناجع لذلك.

بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْوَضَّاءِ تُمْسِي
جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَغِيبُ[١]
فَأَغْزُو مَنْ غَزَا وَبِهِ اقْتِدَارِي
وَأَرْمِي مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ[٢]
وَلِلْحُسَّادِ عُذْرٌ أَنْ يَشِحُّوا
عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا[٣]
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ
عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ[٤]

الرفق بالجاني عتاب

أحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب معه فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالغبارات والخرارات فأوقع بهم وملك الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة (٩٥٤ م):

[الوافر]

بِغَيْرِكَ رَاعِياً عَبِثَ الذِّئَابُ
وَغَيْرَكَ صَارِماً ثَلَمَ الضِّرَابُ[٥]

---

(١) الوضاء: الجميل. أجمل ما اعتاد على رؤيته وجه سيف الدولة المشعّ جمالاً وضياءً؛ إنه بمثابة شمس دائمة الإشراق ليل نهار خلاف الشمس التي تُشرق وتغرب.

(٢) ينوّه الشاعر بدوره في حروب سيف الدولة، إنه يشاركه المصير، فهو دائماً إلى جانبه يُقاتل بقتاله، فيغزو ويرمي النبال، فيصيب مقاتل الأعداء بهمّة ممدوحه.

(٣) و (٤) شحّ: بخل. لطالما تألّم المتنبي من الحساد، وقد اصطنعهم باستعلائه وعدم تقديرهم وهم من هم في بلاط سيف الدولة مكانة ورفعة، فكادوا له عند سيّده وأفسدوا العلاقة بينهما، وهو يعذرهم لبخلهم ولعدم تقديرهم له، وهو يتمنّى لهم الموت حسرة وغيرة منه، فقد حلّ في المقام السامي من قلب أميره، ومن الطبيعي أن يستثير حسد حاسديه؛ فالعيون ترى فتُكوى القلوب منهم.

(٥) عبث: استخفّ ولعب. الصارم من السيوف: البتّار. الضراب: المقارعة بالسيوف. يخاطب الشاعر سيف الدولة إنه راع حريص على حماية رعيته وممتلكاته خلاف غيره الذي يترك الذئاب تفتك برعيته، والذئاب هم المغيرون، وأنت سيف ماضٍ بتّار تُجيد فنون القتال خلاف غيرك، فهم سيوف مثلّمة لا تقطع حتى في الهواء.